فيا أيها الأخوة في الله, إن أعداء الإسلام منذ بزوغ شمسه وظهوره، وانتشار ضيائه وجماله وسنائه، وهيمنته على الأديان كلها إبان ظهوره ووقت بزوغه, ما فتؤوا يكيدون الإسلام وأهله، ويتربصون بهم الدوائر ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء﴾ [النساء:89].

وإن أعداء الإسلام سلكوا مسالك شتى لضرب الإسلام وعرقلة انتشاره وظهوره, ولكن لعمر الله من يرد السيل إذا هدر؟ أم لعمر الله من يرد على الله القدر؟

جرب هؤلاء الأعداء أبواباً كثيرة ومسالك خطيرة في تشويه الإسلام, وتقويض حصونه من الداخل

لكن ـ أيها الإخوة ـ ليس العجيب أنهم يخططون لضرب الإسلام وشل حركته، ولكن العجب العجاب أن تنطلي دعواتهم ودعايتهم وكلامهم المعسول المسموم على السذج والبسطاء من أبناء المسلمين، فيصبحون من أنصار هذه الدعوة ومن الداعين إليها، والمنافحين عنها، والناشدين لأمرها من حيث شاءوا أو لا يشاءون.

أيها الأخوة الأحبة, ولقد تمكن أعداء الإسلام من هز كيان هذه الأمة وزعزعة حصونها وأن ينفذوا مخططًا مجرماً لتدمير الأمة الإسلامية، وذلك من خلال بابين خطيرين:

ألا وهما باب العقيدة وباب الأسرة وإن شئت فقل باب المرأة المسلمة.

أما الباب الأول, فقد استطاع الأعداء أن ينشئوا مذاهب منحرفة وعقائد باطلة ويدسوها في أصل ديننا، حتى أفسدت عقائد الكثيرين من أبناء المسلمين فافترقوا فرقاً، وصاروا شيعًا وأحزابًا يكفر بعضهم بعضًا، ويضرب بعضهم رقاب بعض، وسلط هؤلاء الأعداءُ على نصوص الوحيين التأويلاتِ الباطلة حتى فسد الدين فسادًا, لولا أن الله سبحانه تكفل بحفظه وأقام له حرسًا ووكّلهم بحمايته من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين, لجرى عليه ما جرى على الأديان السالفة, ولكن الله برحمته وعنايته بهذه الأمة يبعث لها عند دروس السُّنَّة وظهور البدعة من يجدد دينها، ولا يزال الله يغرس في دينه غرسًا يستعملهم فيه علمًا وعملاً.

وإن الكلام عن هذا الباب وما دسّ فيه الملحدون وأذنابهم من الشبه والتشبيه والضلالات والجهالات يطول جدًا، فسنرجئه إلى خطبة أخرى.

ولكن مقصودنا هو الباب الثاني، الذي نفذ إليه أعداء الملة، وأصبحوا لا يأتون بضلالة إلا فعل الناس أكبر منها, ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ألا وهو تدمير الأسرة، وذلك من خلال ركنها الركين، وجانبها القوي المتين، ألا وهو المرأة، والواقع أكبر شاهد يمكن الاستدلال به على ما نقول.

أيها المسلمون, لقد شوه هؤلاء الكافرون موقف الإسلام من المرأة, حتى صار الدين عند الكثيرين متهمًا, يحتاج إلى من يدافع عنه؛ ولكنهم كذبوا في ذلك، وافتروا على دين الله.

فلم يوجد ولن يوجد دين أكرم المرأة واحترمها وأعلى شأنها, كما في شريعة محمد ﷺ. فالمرأة في الإسلام هي تلك المخلوقة التي أكرمها الله بهذا الدين، وحفظها بهذه الرسالة، وشرفها بهذه الشريعة الغراء، إنها في أعلى مقامات التكريم, أمّاً كانت أو بنتاً أو زوجةً أو امرأةً من سائر أفراد المجتمع.

فهي إن كانت أمًّا فقد قرن الله حقها بحقه فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّـهُ وَبِٱلْوٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰناً﴾ [الإسراء: 23]. وأي تكريم أعظم من أن يُقرن الله حقها بحقه!

وهي وإن كانت بنتاً، فحقها كحق أخيها في المعاملة الرحيمة والعطف الأبوي، تحقيقاً لمبدأ العدالة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإْحْسَانِ﴾ [النحل:90].

وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم))[1][1] متفق عليه.

ولولا أن العدل فريضة لازمة وأمر محكم، لكان النساء أحقَّ بالتفضيل والتكريم من الأبناء، وذلك فيما رواه ابن عباس مرفوعًا: ((سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحدًا لفضلت النساء))[2][2] أخرجه البيهقي في سننه.

ولقد شنّع القرآن على أناس أصحاب عقائد منحرفة، الذين يبغضون الأنثى ويستنكفون عنها عند ولادتها، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشّرَ أَحَدُهُمْ بِٱلأْنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:58].

ولقد أثر هذا الأدب العظيم من الفرح بالبنت كما يفرح بالولد أو أشد على أدباء الإسلام, حتى كتبوا فيه صيغ التهنئة المشهورة، حيث يهنئ الأديب من رزق بنتاً من أصحابه فيقول له: أهلاً وسهلاً لعقيلة النساء، وأمّ الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرة بأخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

ولو كن النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب وما التذكير فخر للهلال

ثم يقول الأديب لصاحبه: والله تعالى يعرّفك البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فادَّرع اغتباطًا واستأنف نشاطًا، فالدنيا مؤنثة، والرجال يخدمونها، والأرض مؤنثة، ومنها خلقت البرية، ومنها كثرت الذرية، والسماء مؤنثة، وقد زينت بالكواكب، وحليت بالنجم الثاقب، والنفس مؤنثة، وهو قوام الأبدان، وملاك الحيوان، والجنة مؤنثة، وبها وعد المتقون، وفيها ينعم المرسلون، فهنيئًا لك بما أوتيت، وأوزعك الله شكر ما أعطيت.

أيها الأخوة, وهي إن كانت زوجًا فقد ذكرها الله في كتابه فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الرعد:38].

وهي مسألة عباد الله الصالحين: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوٰجِنَا﴾ [الفرقان:74].

كما لا ننسى أن الشرع قد أعطاها حقها من المهر والنفقة والمسكن والملبس، وجعل لها حريتها في اختيار زوجها، وأمر زوجها بمعاشرتها بالمعروف، وأمره أن يترفع عن تلمس عثراتها وإحصاء سقطاتها.

وهي إن لم تكن أمًا ولا بنتًا ولا زوجةً فهي من عموم المسلمين، يبذل لها من المعروف والإحسان ما يبذل لكل مؤمن، ولها على المسلمين من الحقوق ما يجب للرجال.

أيها الأخوة في الله, وعلى الرغم من أن الإسلام احترم المرأة وأعلى مكانتها وأعطاها من الحقوق ما يليق بخلقتها وبقدرتها ــ كيف لا

1

2

والمشرع هو خالقها, ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]، ـ لكن أعداء الإسلام من اليهود وأذنابهم, والنصارى ومقلديهم ومحبيهم، والعلمانيين الحاقدين، لا يروق لهم وضعُ المرأة في الإسلام، فهم لمّا علموا وأيقنوا أنهم لن يستطيعوا ضرب الإسلام وتقويض حصونه من الداخل إلا بإخراج المرأة من بيتها بل إخراجها عن طبيعتها وأصل خلقتها ـ ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف:18] ـ أرادوها أن تزاحم الرجل في كل ميادين الحياة ولا بد, فلا بد أن تزاحم الرجل في تجارته، وفي عمله، وفي صناعته، وفي وظيفته، بل حتى في سيارته، وتنقله.

أيها الأخوة, ما كان لهؤلاء الحاقدين أن يدخلوا على الناس في بيوتهم ويخرجوا بناتهم ونساءهم, ولكنهم بمخططهم الماكر، افتعلوا قضية وأسموها بمصطلح جديد، منهم من يسمون مساعيَهم لإفساد المرأة وللذهاب بحيائها ودينها [تحرير المرأة], ليوحوا للمرأة أن لها قضيةً تحتاج إلى نقاش، وتستدعي الانتصار لها أو الدفاع عن حقها المسلوب.

ولذلك يكثرون الطنطنة في وسائل كثيرة ومختلفة على هذا الوتر, بأن المرأة في مجتمعاتنا تعاني ما تعاني، وأنها مظلومة وشقٌّ معطل، ورئة مهملة، ولا تنال حقوقها كاملة، وأن الرجل قد استأثر دونها بكل شيء.

وهكذا, ليشعروا الناس بوجود قضيةٍ للمرأة في مجتمعنا, هي عند التأمل لا وجود لها.

ونحن نقول لهؤلاء الناعقين: أي حريّة للمرأة تريدون؟!

أتريدونها أن تكون ألعوبة في يد القاصي والداني؟!

أم تريدونها أن تكون ورقةً مبذولةً تطؤها الأقدام وتمزقها الأيدي, بعد أن كانت جوهرةً مصونةً لا يكاد يرى أحد منها شيئًا من غير محرمها إلا بعقد صحيح؟

أيّ حرية في أن تكون المرأة مع الرجل جنبًا إلى جنب في كل شيء حتى في مصنعه وهندسته؟!

عجبًا! ثم عجبًا!

تقول إحدى الكاتبات العربيات ــ وكانت إحدى داعيات الحرية والمساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء, وهي حينما تتكلم تتكلم عن تجربة ومعاناة، وبعد زمن طويل في درب هذه الحرية والمساواة المزعومة ـ تقول:

سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير من الأشياء ضد ما يسمى [حرية المرأة] تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها, وعلى حساب كرامتها, وعلى حساب بيتها وأولادها, سأقول ــ وما زال الكلام لها ــ: إنني أحمل نفسي كما تفعل كثيرات مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل.

ثم ذكرت: أنها قد تتعرض لبعض الأذى والظلم من الرجل, لكنها تعقّب على ذلك فتقول: هل يعني هذا أن أرْفُض نعومةً وهبها الله لي، لأصبح امرأة تعلق شاربًا، وتتحدى أقوى الرجال؟ وهل يعني هذا أن أنظر إلى البيت، جنة المرأة التي تحلمُ بها, على أنها السجن المؤبد؟ وأن الأولاد ما هم إلا حبل من مسد يُشدُّ على عنقي؟ وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر الذي يكبل قدمي, خشية أن تسبقه خطوتي؟

لا, أنا أنثى، أعتز بـأنوثتي، وأنا امـرأة أعـتز بما وهبـني اللـه، وأنا ربة بيتي.
ثم تقول: ويا ربِّ اشهد, بيتي أولاً, ثم بيتي, ثم بيتي.
بارك الله لي ولكم بما سمعنا..
الحمد لله على إحسانه والشكر له...
أيها الأخوة في الله, إن أول فتيلٍ أشعله أعداء هـذه الأمة المحمديـة، هو الحجـــاب والســـخرية منه والنيل من لابِسَـــتِه بالسب والشـــتم أو بالسخرية والذمّ.
تقول إحدى الهالكات: إنني ضد الحجاب، لأن البنـات المحجّبـات يُخِفْن الأطفـال بمظهـرهن الشـاذ، وقد قـررت بصـفتي مدرسة بالجامعـة، أن أطرد أي طالبة محجبة في محاضـرتي، فسـوف آخـذها من يـدها وأقـول لها: مكانك في الخارج.
أيها الأخوة, إن مسالة الحجاب ما هي إلا بوابةٌ يـدلُف منها هـؤلاء إلى الانحلال من الإسلام بالكلية، فهم لا يكتفـون أبـدًا بـأن تلبس المـرأة زيًّا فاضحًا دونما حجاب؛ بل لا يكتفون حتى يعلموا أنهم مسخوا بحق حقيقة الإسلام من قلب المرأة المسلمة.
أيها الأخـوة, وإن المـرأة مـتى ما ألقت مُلاءَتَها عن وجهها وظهـرت ســافرة الوجه لا يغطيها حجــاب, فإنها قد فتحت بابًا من الشر لا يقفل أبدًا, ولـذلك لما علم رسـول الله ﷺضـرر النسـاء على الرجـال قـال: ((ما تركت بعدي في الناس فتنةً أضرّ على الرجال من النساء))[3][1].
فإن المسلمة إن تبرجت بلباسها وألقت حجابهـا, إنها إن فعلت ذلـك, فقد فاز الأعـداء في مخططـاتهم، وكسـبوا مكسـبًا عظيمًـا. وإن المـرأة متى ما تبرجت فقد هدمت المجتمع ونشرت الرذيلة، وأشاعت الفاحشة.
يقـول سـماحة الوالد الشـيخ عبد العزيز بن بـاز ــ رحمه الله ومتعنا بعلمه وعمله ــ في رسـالة له اسـمها [التـبرج], أنصح الجميع بقراءتهـا, فقد بين فيها الشيخ رحمه الله البيان الشافي في حكم الحجــاب وحرمة السفور، يقول رحمه الله:
"فلا يخفى على كل من له معرفــةٌ ما عمت به البلــوى في كثــير من البلــدان من تــبرج الكثــير من النســاء وســفورهن، وعــدم تحجبهم من الرجال، وإبداء الكثير من زينتهن التي حرم الله عليهن إبــداءها، ولا شك أن ذلك من المنكرات العظيمة والمعاصي الظـاهرة، ومن أسـباب حلـول العقوبات ونزول النقمات، لما يـترتب على التـبرج والسـفور من ظهـور الفواحش وارتكاب الجرائم وقلة الحياء وعموم الفساد".
ثم يقول رحمه الله: "فـاتقوا الله أيها المسـلمون، وخـذوا على أيـدي سـفهائكم وامنعـوا نسـاءكم مما حـرم الله عليهن، وألزمـوهن التحجب والتســتر واحــذروا غضب الله ســبحانه، وعظيم عقوبتــه، فقد صح عن النــبي ﷺأنه قــال: ((إن النــاس إذا رأوا المنكر فلم يغــيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه))"[4][2].
ويقول رحمه الله رادًّا على دعاة الاختلاط ونزع الحجـاب: "إن ثمـرات الاختلاط مُرة, وعواقبه وخيمة, رغم مصـادمته للنصـوص الشـرعية الـتي تأمر المرأة بالقرار في بيتها، والقيـام بالأعمـال الـتي تخصـها في بيتها ونحوه، ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الاختلاط من المفاسد الــتي

3

4

لا تحصى؛ فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم بإنصافٍ من نفسه وتجـرد للحق عما عـداه، فسـيجد التحسر على انفلات المرأة من بيتها وتفكك الأسر" ا.هـ

وأخــيرًا, بعد هــذه الرحلة الطويلة من تبــيين مخطط الأعــداء وهتك أسـتارهم, انتبه ــ أيها الـولي ــ من أن تكـون ممن يشـارك في إنجـاح مخططات الأعداء.

وأنتِ أيضًا ـ أيتها المرأة المسلمة ـ احـذري ثم احـذري أن تستسـلمي لهم أو تتنازلي, حتى وإن أبدوا لكِ النصيحة أو الشفقة عليكِ.

فوالله ما أرادوا حرّيّتــك, وإنما أرادوا أن تكــوني رقيقــاً وألعوبة في أيديهم.

وأنت أيها الولي, راقب من هم تحت ولايتك من البنات الشــابات ومن زوجاتـك, انظر ما يلبسن عند خـروجهن من الـبيت, سـواء ذهبن للسـوق هنا أم لوليمة هناك.

فكم سمعنا وسمعتم عن بنات يلبسن الفاضح التي تستحي المرأة أن تلبسه أمام زوجها أحيانًا.

ثم لا تسـتنكف هـذه المـرأة وربما تكـون ما زالت تنتظر الـزوج الـذي يخطبها ومع ذلك تلبس هــذا الــزي الفاضــح، بل من النســاء من لبست عبــاءة في الســوق وعلى مــرأى من النــاس, قد أظهــرت يــديها وربما سـاعديها، وتغطت بغطـوة خفيفة لا تغطي شـيئًا من وجههــا، أو لبست نقابـــاً وأخـــرجت معظم وجهها أو أخـــرجت عينيهـــا؛ لتقتل بنظرتها المسمومة ضعافَ القلوب، وإلى الله المشتكى.

وإنك لتعجب حينما تعلم أن هـذا الرجل الـذي تـركب معه في سـيارته وهي على هذه الهيئة زوجها الذي نزع من قلبه الحياء والغيرة، فلا غيرة منه ولا حياء منها، وأصبحت الغـيرة الـتي كنا نسـمع عنها في ذلك الجيل الأول كأنها أسطورة أو قصة خيالية.

فها هو رسول الله ﷺيقول يومًا لأصحابه: ((إن دخل أحـدكم على أهله ووجد ما يريبه أشـهد أربعًـا)). فقـام سـعد بن عبـادة متـأثرًا، فقـال: يا رسول الله، أأدخل على أهلي فأجد ما يريبني, أنتظر حتى أشـهد أربعًـا؟ لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت ما يريبني في أهلي لأطيحن بــالرأس عن الجسد ولأضربن بالسيف غير مصفح، وليفعل الله بي بعد ذلك ما يشاء.

فقال عليه الصلاة والسلام: ((أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغـير منه، والله أغير مـني، ومن أجل غـيرة الله حـرم الفـواحش ما ظهر منها وما بطن))[5][3]. الحديث وأصله في الصحيحين.

5